فى الادب الروسى

قصة الانف

لنيقولا جوجول (١٨٠٩ - ١٨٥٢)

— ١ —

فى صبيحة ٢٥ مارس حدث بمدينة بطرسبرج حادث جد طريف ، فقد استيقظ الحلاق « إيفان ياكوفلفتش » مبكراً قليلا على خلاف عادته ، وذلك لأن الحجرة كانت تعبق برائحة خبز حار . ولأول ما نهض من فراشه وقعت عيناه على زوجته ، تلك السيدة المترهلة المغرمة بتعاطى القهوة ، فرآها منهمكة فى إخراج أرغفة طازجة من الفرن فقال :

« لست أريد أن أتناول قهوتى اليوم يا « براسكوفيا أوزبوفنا » ، فإنى أفضل بدلا منها خبزاً حاراً مع قليل من البصل » .

والحق الذى لا مرية فيه ، هو أن إيفان ياكوفلفتش كان يفضل أن يتمتع بالقهوة والخبز معاً ، إلا أنه كان على ثقة من أنه محال أن يطمح إلى شيئين فى آن واحد ، لأن براسكوفنا أوزبوفنا كانت تمقت مثل هذا الإسراف . فقالت الزوجة فى نفسها :

« ليتناول الأحمق خبزاً فذلك خير لى وأبقى ، لأن فنجاناً ثانياً من القهوة سيترك لى شراباً هنيئاً » ، ثم ألقت إليه برغيف فوق المائدة .

ووفقاً لآداب المائدة وضع إيفان ياكوفلفتش فوق قميصه طرفاً من رداء قديم ، ثم جلس إلى مائدة تناثر الملح عليها ، وفوقها بصلتان ، فتناول السكين بيده وأخذ يقطع الرغيف فى حين كان وجهه تبدو عليه سيماء الجد والرزانة . وبعد أن قطع الرغيف نصفين حلق إلى لبابه ملياً ؛ وأخذته الدهشة حين رأى شيئاً أبيض فيه ، فنقر إيفان ياكوفلفتش بسكينه مثنى وثلاث ، ثم لمسه بأصبعه ، ومع ذلك لم يهتد إلى معرفته .

وأخيراً أنشب أظافره فى لباب الرغيف وانتزعه ، وكم كانت دهشته بالغة حين رأى ذلك أنفاً ! . . . سقطت يد إيفان ياكوفلفتش من أثر الدهشة ، ولكنه بسرعة مسح عينيه جيداً ، وعاد يفحص ذلك الشيء من جديد . . لقد كان أنفاً حقيقياً ؛ وأعجب من ذلك أن الأنف بدا لناظريه مألوفاً عنده ، وفى الحال سرت فى وجه إيفان ياكوفلفتش نظرة ذعر عميق ؛ ولكنه ذعر ضئيل إذا قيس بالسخط الذى استولى على زوجته التى أخذت تصرخ وتقول :

« من أين اقتطعت هذا الأنف أيها الوحش الضارى والوغد الكبير ؟ سأذهب بنفسى إلى البوليس لأبلغ عنك أيها الأثيم .. طبعاً نجد مثل هذا الأنف هنا، فلقد سمعت من ثلاثة من كرام زبائنك أنك عند ما تحلق لهم شعورهم تعمد إلى أنوفهم فتسحبها ذات اليمين وذات الشمال حتى لتكاد تقتلعها من وجوههم ».

وكان إيفان ياكوفلفتش آنئذ أقرب إلى الموت منه إلى الحياة ، فقد لاحظ أن الأنف لا يمكن أن يكون إلا أنف « كوفاليوف » ذلك الرجل الذى يحلق له كل يوم أربعاء وكل يوم أحد .

« مهلا يا براسكوفيا أوزبوفنا، مهلا ، سألفه فى خرقة وأضعه فى ركن من أركان الحجرة .. وليبق هنا قليلا ربما أعود إليه ثانية » .

« لا . لا . لا أحب أن أتصوره ... يا للفظاعة ، يا للشناعة ! وهل أنا ممن يسمح لأنف مجدوع أن يبقى فى حجرته ؟ . . ابعد به ، خذه إلى حيث تشاء، لا تجعل عينى ترمقانه ثانية ».

فوقف إيفان ياكوفلفتش كمن دهمته داهمة ، وفكر وأطال التفكير، ولكنه لم يدر كيف يتصرف، فقال: « إن إبليس وحده هو الذى يعرف كيف حدث هذا » . ثم أخذ يحك خلف أذنه ويقول : « هل جئت ثملا ليلة أمس أم ماذا ؟ لست أستطيع أن أجزم بشىء الآن، إلا أن هذا الحادث أمر شاذ ، لأن الخبز شىء يؤكل ، فى حين أن الأنف شىء آخر يخالفه تماماً، فكيف اجتمعا ؟ ما أغمض هذا السر ! ».

ثم استسلم إيفان ياكوفلفتش للصمت العميق وتراخت قواه عند ما خطر بباله أن البوليس قد يبحث عن الأنف ويلقى تبعة ذلك عليه . ثم تراءى له طوق البوليس الأحمر وسيفه المشوق، فعراه ارتعاش شديد . وأخيراً انزلق فى بنطلونه وحذائيه وسحب الأنف ليدرجه فى خرقة بالية ، ثم خرج إلى الشارع مسرعاً تصحبه لعنات براسكوفيا أوزبوفنا المرة .

أراد أن يقصى الأنف عن الأنظار، وأن يلقيه كيفما اتفق ، وبعد ذلك يثنى راجعاً فى شارع جانبى دون أن يشعر به أحد . وإذ كان النحس حليفه أبداً فقد التقى بشخص يعرفه ابتدره سائلا حين كان يهم بإلقاء الأنف: « إلى أين ؟ ومن ذا الذى ستحلق شعره فى هذا الصباح مبكراً ؟ »

وهكذا لم تتح لإيفان ياكوفلفتش فرصة سعيدة يتخلص فيها من ذلك الأنف . وفى مرة ثانية ألقى الأنف بالفعل من يده، ولكن الخفير أشار إليه - عن بعد - بطرف بندقيته وهو يقول : « التقطه ، إنك قد ألقيت شيئاً » ، فاضطر إيفان ياكوفلفتش إلى أن يسترد الأنف ويضعه فى وطابه ثانية ، وهو آنئذ أكثر ما يكون يأساً ، خصوصاً وقد تزايد عدد المارة وأخذت المتاجر تفتح أبوابها شيئاً فشيئاً . وصمم فى الحال على أن يذهب إلى جسر القديس إسحق ، رجاء أن يتمكن من قذفه فى جوف نهر النيفا .

والآن، فلنتحدث عن شخصية إيفان ياكوفلفتش لأنه رجل جدير بالاعتبار من جملة وجوه .

إيفان ياكوفلفتش — ككل عامل روسى يحترم نفسه — كان سكيراً إلى حد الجنون ، ومع أنه كان يحلق لحى الناس فى كل يوم ، إلا أن لحيته كانت تتمتع بحرية النمو ، وكان معطفه ذو الذيل الطويل (ولم يكن يرتدى غير هذا الشكل) أرقط مختلف الألوان لقدمه وقذارته ، وكان أيضاً فظاً غليظ القلب ، فعند ما كان يقول له كوفاليوف وهو يحلق : « إن يدك دائماً تغرس الموسى فى اللحم »؛ كان يجيبه الحلاق بقوله : « وأى شىء يجعلها تغرز هكذا ؟ »

« لا أستطيع أن أجيبك على سؤالك ، ولكن الواقع أنها تغرز الموسى فى اللحم » . هكذا ربما يكون رد كوفاليوف الذى عند مايتناول طرفاً من النشوق ، كان إيفان ياكوفلفتش يجرحه مئتى وثلاث من أجله ، فى خديه وتحت أنفه وخلف أذنيه ، وفى ذقنه وفى حيثما شاء .

تنبه إيفان ياكوفلفتش بعد مشية طويلة ، فاذا به فوق جسر القديس إسحق ، فنظر حوله جيداً ثم انحنى فوق سور الجسر، كما لو كان يتأمل السمك وهو يتسابق فى جوف الماء ، ثم ألقى فى شىء من الحذر الأنف بخرقته . وبدلا من أن يذهب ليحلق لحى كتاب الحكومة فى مكاتبهم ، اتجه نحو مؤسسة تحمل هـذا العنوان « الشاى والمرطبات » ، فطلب زجاجة من الخمر المعتق ، إلا أنه لمح فى نهاية الجسر مفتشاً من مفتشى البوليس مهيب الطلعة ذا شاربين طويلين ، فجمد الدم فى عروقه ؛ ثم ابتدره رجل البوليس قائلا : « تعال هنا يا صاح ».

وإذ كان إيفان ملما بالتقاليد ، فقد رفع قبعتـه بيسراه قليلا ثم تقدم وقال :« أتمنى لكم الصحة ياصاحب السعادة »، فقال رجل البوليس :«لا لا أيها الرفيق العجوز، أنا لست صاحب سعادة . خبرنى ، ماذا كنت تفعل حين وقفت بجانب سور الجسر ؟ » .

« إننى كنت فى طريقى إلى زبائنى، ثم توقفت لأعرف فقط أكان التيار سريعاً أم بطيئاً ».

« هذا كذب وتضليل ! أنت لا تنجو بذلك ، أرجوك أن تصدقنى » ، فقال إيفان : « إنى على استعداد ياسيدى العظيم أن أحلق لك مرتين أو ثلاثا فى الأسبوع بدون مقابل».

« لا يا صاح،عيناً ما تقول ، إن لى ثلاثة حلاقين يحلقون لى، وهم واثقون بأن ذلك شرف لهم . ولكن كن صادقاً ، أطلعنى على سبب وقوفك » .فامتقع وجه إيفان ياكوفلفتش،ولكن هذا الحادث توارى فى زوايا النسيان ولم يعلم شىء مما حدث بعد ذلك .

— ٢ —

استيقظ كوفاليوف — زبون الحلاق إيفان ياكوفلفتش — فى صبيحة اليوم التالى،وأخذ يترنم بأصوات نكراء تعودت أن تنفرج عنها شفتاه عند استيقاظه : «م.م.م.م.م.م الخ ». ثم اتكأ إلى حافة السرير وأخذ المرآة الصغيرة التى فوق منضدته، حتى يرى الدمل الذى برز فوق أرنبة أنفه فى المساء السابق ؛ ولكنه رأى شيئاً عجيباً ، رأى مسطحاً مستوياً حيث كان

يجب أن يبرز الأنف... نعم فقد كان الأنف غير موجود ، فامتلأ لحينه جزعاً وهلعاً ، وطلب قليلا من الماء ومنشفة ليمسح عينه من القذى عله يراه ، ولكن لم يكن هناك أنف ما ، فتلمس وجهه بيده ، ثم قرص جسمه ليتأكد أنه لم يكن نائماً ، فتبين له أنه مستيقظ بلاشك ، ثم قفز من فراشه وهز جسمه وحرك عضلاته ، ومع ذلك ظل الأنف غائباً ؛ وأخيراً ارتدى ملابسه ثم عم وجهه شطر البوليس.

كان كوفاليوف يفضل أن يلقب بالماجور كوفاليوف ، كذلك سنلقبه منذ الآن بهذا اللقب ؛ وكان من عادة الماجور كوفاليوف أن يتنزه جيئة وذهاباً فى ميدان « تفسكى » ؛ وكانت ياقته دائماً نظيفة جميلة ، وشارباه يشبهان ما نراه الآن عند ماسحى الأراضى والمهندسين وأطباء الجيش ، وهما يبدءان من أواسط الخدين وينتهيان عند الأنف . وكان قد هبط بطرسبرج رجاء أن يعثر على وظيفة تليق بمقامه الذى خيله لنفسه . وكان يرى أنه إذا أسعده الحظ فلا أقل من وظيفة رئيس يشرف على مصلحة خطيرة ؛ ولم يكن الماجور كوفاليوف يرتاح إلى فكرة الزواج ، إلا أنه إذا استطاع أن يعثر على عروس تملك مائتى ألف من الجنيهات فلا بأس بالزواج ؛ وهكذا يستطيع القارىء أن يتصور ماذا كان موقف الماجور كوفاليوف عند ما نظر إلى نفسه ، فبدلا من أن يجد أنفه المتناسق ، وجد مسطحاً مستوياً ؛ وإذ كان النحس حليفه فإنه لم يجد عربة ما فى الطريق ، لذلك اضطر أن يسير على قدميه ملتفاً فى معطفه ومخبئاً وجهه تحت منديل بيده ، حتى أن كل من رآه يظن أن له أنفاً ، ثم أخذ يقلب المسألة فى ذهنه وهو يسير :

« قد يكون ذلك خيالا منى ووهماً ؛ محال أنى فقدت أنفى » .

ثم انثنى نحو رجل يبيع الحلوى ليتاح له النظر فى مرآة أخرى ؛ ولحسن حظه لم يكن بالمحل أحد ما ، اللهم إلا الغلمان الذين كانوا يمسحون البلاط ويضعون الكراسى فى أماكنها ، فقال : « حسناً ، الحمد لله ، الآن أستطيع أن أنظر وأنا كده » ثم واجه المرآة بجبين شديد ؛ « أعوذ بالله من الشيطان اليتنى وجدت شيئاً بارزاً موضع الأنف ، يالحسرة ، ألا يوجد شىء البتة ؟ »

ثم عض على يديه ندماً وحسرة ، وأسرع فى الخروج وهو قلق البال ؛ وصمم — خلافاً لعادته — أن لا ينظر أو يلتفت إلى أى إنسان من المارة ؛ وما كاد يسير قليلا حتى وقف فجأة أمام منزل ، وكأنه شجرة نبتت هناك لا تبرح موضعها ، ذلك لأنه حدث أمام عينيه شىء غير مفهوم ؛ فقد وقفت عربة أمام المنزل ، ثم انفتح بابها فخرج منه سيد أنيق الهندام واندفع نحو درج المنزل ؛ وكان ذلك السيد موضع دهشة كوفاليوف ومصدر خوفه واضطرابه فى آن واحد ، إذ أنه ترآى لكوفاليوف أنه هو أنفه المفقود ، وفى هذا الظرف العصيب خيل إليه أن كل شىء يضطرب أمامه ، وأن الأرض التى يقف عليها كانت تميد به ، وشعر أنه ضعف عن تمالك أعصابه ، ومع ذلك فقد صمم على أن ينتظر عودة ذلك السيد إلى عربته ليميد إليه النظر

والفحص الدقيق ، وبعد دقيقتين رأى الأنف يعود فوق الدرج ، وكان يلبس ياقة مقواة مرتفعة وبنطلوناً لركوب الخيل، وكان يرسل سيفاً إلى جانبه الأيسر، وعند ماخرج من باب المنزل نظر يمنة ويسرة . وطلب إلى السائق أن يفتح باب العربة ، ثم ولجها فسارت .

أما كوفاليوف المسكين فقد طار لبه وجن جنونه، ولم يستطع أن يتروى فى هذا الاتفاق العجيب، الذى أوقفه أمام أنفه الذى كان حتى الأمس فقط — فى وسط الوجه ولا يستطيع الحركة والمشى، فكيف يبدو اليوم فى حلة رسمية ويمتطى العربات ويتسلق الدرج ؟

أطلق لساقيه العنان خلف العربة، وكان المنديل يحجب معظم وجهه ، ولكنه وقف عند مدخل السوق العامة، وأخذ يشق صفاً من الشحاذات العجائز اللاتى كن موضع سخريته واحتقاره بالأمس: فاذا به اليوم يخشى سخريتهن ؛ وتلفت باحثاً عن السيد فى كل جهة، وأجال ببصره فى كل موضع، وأخيراً عثر عليه واقفاً أمام متجر من المتاجر ، وكان الأنف يحجب وجهه بتمامه تحت ياقته المقواة المرتفعة ، ويشاهد بعض البضائع المعروضة بكل انتباه .

« كيف أقترب منه وأحدثه ؟ »، قال ذلك فى نفسه: على حين أخذ يفكر بقوة ، ثم خطر له أن يسعل بالقرب منه عله يستلفت انتباه الأنف ، فسعل ولكن الأنف لم يغير اتجاه وجهه .

فقال كوفاليوف : « سيدى ؛ سيدى » ، وذلك ببطء حتى يجعله يتحدث إليه فى السر .

« ماذا تريد » قال الأنف ذلك عجباً كوفاليوف على سؤاله ، ثم أدار له وجهه .

« تبدو لى عجباً » ياسيدى، يجب عليك أن تعرف أين موضعك الحقيقى، أين ألقاك الآن حتى أستصحبك ؟ أنت ستقبل . فقال الأنف : « معذرة ، أنا لا أفهم عم تتكلم ، أفصح » .

« كيف يجب أن أفصح له ذلك » ؟ سأل كوفاليوف عن ذلك نفسه ، وأخيراً جمع كل مالديه من شجاعة وقال : « طبعاً أنا ماجور ، وكونى أسير بغير أنف أمر ينبغى أن تدرك عدم لياقته ، قد يمكن لامرأة عجوز ممن يبعن البرتقال فوق جسر «فنسكى» أن تبقى هناك بغير أنف ، أما أنا فلا يمكننى ذلك ؛ إذ أن لى مطامح سامية ، ولأنى تعرفت إلى آنسات كثيرات من عائلة « تشهتارف » العضو النيابى وغيرها ، فأنت تستطيع أن تقدر ذلك ، وأنا لاأعرف ياسيدى (وفى هذه اللحظة هز الماجور كوفاليوف كتفيه) ، اعذرنى إذا أنت نظرت إلى المسئلة من جهة الواجب والشرف ، فأنت تستطيع أن تفهم الأمور جيداً » .

« لم أفهم قط كلمة مما تقول . ماذا تريد ؟ » كذلك سأله الأنف بتضجر وتبرم . فأجابه كوفاليوف : « سيدى ! لست أعرف كيف أتفهم كلماتك . إن الأمر يبدو لى فى غاية الوضوح، فاما أن ترغب فى ... لماذا ؛ أنت أنفى وملك لى ، تعال هنا » ، ثم هم أن يقبض عليه ، إلا أن الأنف حدجه بنظرة حادة أوقفته عند حده ؛ ثم قال وحاجباه يرتعشان غيظاً : « أنت مخطىء ياسيدى ، أنا شخص مستقل ، ولا يمكن أن تكون بيننا أية علاقة » . قال ذلك ثم انصرف إلى

عربته ليمتطيها، فارتبك كوفاليوف ارتباكا عظيما، ولم يدر ماذا يفعل أو ماذا يقول. وفي هذه اللحظة كنت تسمع حفيف ملابس نسائية يقترب رويداً رويداً . ظهر أنها ملابس اثنتين إحداهما سيدة متقدمة في العمر تزدان ملابسها بالدنتلا ؛ وأخراهما فتاة هيفاء في ثوب أبيض يبدو جذاباً جداً .

اقترب كوفاليوف منهما، وأخذ يصلح من هيئة ملبسه وموضع سلسلة ساعته الذهبية ، على حين أخذ يبتسم يميناً وشمالاً ؛ ثم صوب اهتمامه نحو تلك الهيفاء الأثيرية التي كانت تتبختر في مشيتها حتى تجاوزته ويدها البيضاء وأصابعها الشفافة فوق جبينها النضر . ولقد استطالت ابتسامة كوفاليوف عند ما لمح تحت قبعة الفتاة ذقناً أبيض مستديراً، وخداً كورود الربيع المبكرة، ولكنه سرعان ما تبدلت ابتسامته عبوساً، فتراجع مرتداً على حين غرة كأنه قد أصيب بمفاجئ، ولا غرو فقد تذكر أنه لا يملك شيئاً قط فوق وجهه مكان أنفه ، وتفجرت الدموع من عينيه ثم انصرف عائداً نحو ذلك السيد ذي الحلة الرسمية ليخبره أنه ليس إلا مخادع شارد ، وأنه ليس إلا أنفه الخاص ، ولكن الأنف لم يكن هناك .

فتولى كوفاليوف من هذا يأس شديد ، على أنه وقف هنيهة ينظر في كل جهة ليرى أين ذهب الأنف ... كان يذكر تماماً أن في قبعة الأنف ريشة، ولكنه لم يتذكر معطفه ولا لون عربته ولا حصانيها ، أضف إلى ذلك أن مئات العربات كانت تجري بسرعة البرق الخاطف مما يجعل من العسير تمييزها ، حتى لو جاز أنه راقب واحدة منها ، فانه لا يستطيع أن يوقفها .

وكان اليوم جميلا مشمساً ، وكانت جماعات الناس تتجول في « نفسكي »، وكانت الفتيات ككثبان من الزهور منثورات على الأرصفة من « بولتسكي » حتى جسر « انتشكن »، وبينما هو كذلك إذ لمح شخصاً من معارفه يتقدم إليه، وكان يلقبه بالكولونيل، خصوصاً إذا تحدث عنه إلى أناس آخرين ، كما أنه رأى « يارزخين » رئيس الكتاب بمجلس الشيوخ وصديقه الحميم، وكان هناك أيضاً ماجور آخر أخذ يلوح له بيده كثيراً، إلا أن كوفاليوف تعامى عنه.

« هاى ! هاى ! عربة ! سق مباشرة نحو منزل رئيس البوليس »، قال ذلك كوفاليوف ثم قفز إلى داخل العربة وهو يقول : « سق بسرعة »، ثم قال وهو يجتاز المدخل « هل رئيس البوليس في المنزل ؟ » فأجابه البواب : « لا ، لقد خرج الآن فقط »

— « هل أنت واثق ؟ »

— « نعم، نعم، وهو لم يبرحنا إلا منذ فترة، ولو أنك جئت قبل دقيقة واحدة للقيته »، وعند ذلك وثب كوفاليوف إلى العربة وهو يمسك وجهه بمنديله، ثم أخذ يصيح صيحة اليأس « سق، سق »، فتساءل السائق : « إلى أين ؟ » فقال : « إلى الأمام » .

— وكيف إلى الأمام ؟ ههنا ينحني الشارع ، فهل أسير يساراً أو يميناً ؟

أيقظ هذا السؤال كوفاليوف واضطره أن يفكر وأن يطيل التروي ، ومن كان في مركز

كوفاليوف عليه أن يقدم نفسه إلى البوليس مباشرة ، لا لأن له صلات شخصية مع رجال البوليس، ولكن لأن إجراءات البوليس ومعونته ربما كانت أسرع من أي ملجأ آخر يلجأ إليه .

وهكذا كان كوفاليوف على وشك أن يأمر السائق بالتوجه شطر مركز البوليس، لولا أن فكرة لاحت له، مؤداها أن ذلك اللئيم الخادع الذي سلك معه في أول التقائه به مسلكا شائنا ربما انتهز الفرصة وانسل هاربا من المدينة ، فتذهب كل أبحاثه أدراج الرياح، أو على الأقل تطول مدتها لشهر أو أكثر لاقدر الله . وخيل إليه أن السماء ألهمته سبيل التصرف الحسن، إذ صمم على أن يذهب إلى مكتب جريدة من الجرائد ليحرر فيها مقالا يصف أنفه فيه ، حتى إذا ما صادفه أحد من القراء فإنه يستطيع أن يقدمه إليه، أو على الأقل يرشده إلى موضعه . وإذ قد تشبع بهذه الفكرة فقد أخبر السائق بأن يتوجه نحو مكتب الجريدة، وما زال طوال الطريق يستحثه بكلمة يذيلها أو بوكزة في ظهره وهو يقول : « أسرع أكثر من ذلك أيها اللعين . هيا هيا أيها الدنس » .

وأخيراً وقفت العربة أمام بناية ضئيلة ، فاندفع كوفاليوف إلى حجرة استقبال صغيرة حيث كان كاتب أصلع الرأس يلبس نظارتين ومعطفاً طويلا متهدلا، يجلس إلى مكتب ويضع قلمه بين شفتيه، على حين كان يعد قطعاً نقدية من النحاس أمامه . فقال كوفاليوف : « من هو المكلف باستلام أسئلة القراء هنا ؟ » ، وبعد صمت وجيز عاد فتذكر التحية فقال : « صباح الخير » .

فأجابه ذلك الكاتب الأصلع الذي حدجه بنظرة قائلاً « ولك أتمنى صباحاً خيراً أيضاً » ثم عاد فصوب نظره مرة ثانية نحو النقود الموضوعة فوق مكتبه .

فقال كوفاليوف : « أحب أن أذيع إعلانا » .

« اسمح لي أن أرجوك انتظاري ثانية » ، قال الكاتب ذلك وهو يقيد رقما على الورق بيده ويحرك حبتين من اللوح العداد بيده الأخرى .

وكانت الغرفة غاصة بالنساء العجائز والباعة وبوابي المنازل، وكلهم يريدون نشر إعلانات ، فكنت ترى واحداً يريد أن يعلن أنه سائق رزين حسن السير والسلوك يبحث عن عمل ، وترى في إعلان ثان أن عربة اشتريت من باريس سنة ١٨١٤ معروضة للبيع . وفي ثالث أن خادمة في سن التاسعة عشرة تجيد الغسل والكي وهي مستعدة أن تؤدي غير ذلك من الخدمات . كما يوجد رجاء أيضاً إلى الذين يحتاجون لشراء نعل لأحذيتهم أن يتكرموا بالحضور بين الساعة الثامنة صباحا والساعة السابعة بعد الظهر . وكانت الحجرة التي تكدس فيها هؤلاء جميعاً صغيرة ، وكان هواؤها لذلك خانقاً ، ولكن كوفاليوف لم يكن يشم تلك الرائحة الكريهة .

« سيدى ، أرجوك أن تأذن لى بسؤال ، مسألتى مستعجلة جداً » ، قال ذلك كوفاليوف وهو لايكاد يطيق صبراً على سكوته .

« دقيقة واحدة ، دقيقة واحدة ؛ روبيتان وثلاث وأربعون كوبكاً ، روبية واحدة وأربعة وستون كوبكاً » ؛ كذلك كان يقول ذلك الكاتب الأصلع وهو يقذف السيدات العجائز وبوابى المنازل بمختلف الوثائق التى أحضروها إليه مبيناً عليها قيمة الإعلان ، ثم التفت إلى كوفاليوف وقال له : « ماذا أستطيع أن أفعل لك ؟ »

« لا أريد أن أسأل سؤالا : فقد حدثت سرقة لاأحب أن أصرح بها ، ولكنى أحب فقط أن تعلن أن أى شخص يحضر إلى ذلك الوغد الهارب فله منى جائزة ؟ »

« أرجو أن تسمح لى بالسؤال عن لقبك »

« لا .لا لماذا أضع لقبى ؟ أنا لا أستطيع أن أعطيك إياه إذ لى حلقة واسعة من الأصدقاء كالمدام تشهتارف زوجة العضو النيابى ، وبلاجيا جريجوريفنا أرملة أحد الضباط . . . ولكنك تستطيع أن تقول إنى رجل برتبة الماجور » .

« هل السارق الذى فر هو خادمك ؟ »

« بكل تأكيد هو . . هو أنفى الذى فر منى . . أنفى الخاص »

« ها . ها . ما أعجب هذا الاسم ! هل سرق منك المسيو أنف مبلغاً جسيما ؟ »

« المسيو أنف ؟ أنت لم تفهم كلامى . هو أنفى أنا ، أنفى الخاص هو الذى فر منى ؛ إلى أين لست أدرى ؛ اللعين يريد أن يسخر بى ويهزأ على حسابى » .

« ها . ها . وبأى شكل فر ؟ لست أفهم ذلك » .

« وأنا بدورى لست بقادر على إفهامك كيف فر ؛ والمهم الآن هو أن تعلم أنه يتجول فى المدينة مدعياً أنه من رجال الأمن ، ولذلك فأنا أرجو أن تعلن أن من يعثر عليه فليحضره إلى بأسرع مايمكن ، فكر أيها الصحفى كيف أستطيع أن أسير بدون هذا العضو الظاهر من جسدى ؟ بكل تأكيد ليس فقده كفقد أصبع قدمى الصغير الذى يمكن إخفاء فقده بلبس حذاء فلا يعرف أحد ، هل هو هناك أم لا ، أذهب كل ثلاثاء إلى مدام تشهتارف وإلى بلاجيا جريجوريفنا وابنتها الفتانة ، وكلهن صديقاتى ، فتصور أى عزيزى هذا المانع الذى يمنعنى رؤيتهن ، أنا لا أستطيع أن أريهن نفسى بعد الآن » .

فأخذ الكاتب يتروى وينعم النظر ، ثم قال بعد صمت طويل : « لا ، لا أستطيع أن أضع مثل هذا الإعلان فى صحيفتى » .

« ماذا ؟ ولماذا ؟ »

« ذلك لأن الصحيفة قد تخسر سمعتها ، إذ لو كتب كل شخص أن أنفه قد فر هارباً كما تريد أن تقول ، فإن القراء سيقولون حتما إننا لانجد ما نكتبه ، ولذلك فقد أخذنا نملأ الجريدة بالسخافات والبلاغات الفارغة »

ولكن أين السخف فى هذا ؟ أنا شخصياً لست أرى أبداً أى دليل على سخف إعلانى ».

« هل تظن أنه ليس سخيفاً ؟ ..... حدث فى الأسبوع المنصرم أن موظفاً بالحكومة قدم إلى وبيده إعلان بلغ ثمنه روبيتين وثلاثة وسبعين كوبكاً ، وكل مافى الإعلان أن كلباً يلبس معطفاً أسود قد ضل . ربما لاتظن أن فى هذا الاعلان شيئاً ما ، لكنه اتضح فيما بعد أنه هجاء لشخص معين : فقد كان ذلك الكلب صرافا فى مصلحة من مصالح الحكومة لست أذكر اسمها ».

« ولكننى لست أطلب الاعلان عن كلاب أو قطط ، بل عن أنفى . وأنا إن أعلنت عن أنفى فكأنى أعلن عن نفسى ، أفهمت ؟ » .

« إذا كنت قد فقدته فهذا من شئون الطبيب ، يشاطرنى فى هذا الرأى قراء جريدتنا ، فهم سيقولون إن هناك من الناس من يعوضك أنفاً من أى شكل شئت .. والآن ألاحظ عليك أنك شخص فكه مغرم بالنكتة والفكاهة » .

« أقسم بقدسية ربى أنى لست أتفكه ولا أتندر . وإذ قد ظننت فسأريك بعينيك ».

« لست أريد أن أزعجك ، فاذا كنت لاتشعر بانزعاج فمن دواعى سرورى أن ألقى نظرة واحدة على وجهك » ، قال الكاتب ذلك على حين كان يتناول قليلا من علبة النشوق ، فرفع كوفاليوف منديله عن وجهه ؛ فقال الكاتب : « إنه فى الحق شىء عجيب . موضع الأنف مستو تمام الاستواء كأنه قطيرة طازجة ، وهو أملس بشكل لايصدق » .

« هل تعارض بعد الآن فى إعلانى ؟ أنت ترى أن لامناص من الإعلان ، وسأكون شاكراً لك أنت على وجه الخصوص إذا أتممت الإعلان ؛ ثم إنى مغتبط بأن هذا الحادث أسعدنى بالتعرف إليك أيها السيد » . ويظهر أن الماجور فى هذه اللحظة كان قد صمم على أن يلتجىء إلى الثناء والاطراء والتملق .

« إن نشر مثل هذا الإعلان ليس عظيم الفائدة لك ؛ إذ أنى لاأتوقع أى فائدة تعود عليك منه ، فاذا أردت الاستفادة من الإعلان فالرأى عندى هو أن تترك الإعلان ليد محرر ماهر ليصور قصة أنفك كفلتة من فلتات الطبيعة ، ثم انشر هذا المقال فى صحيفة « نحلة الشمال » ، التى تنشر مثل هذه الأمور الشاذة (وفى هذه اللحظة تناول قليلا من النشوق) ، وطبعاً هذا هو الذى يبعث الدهشة فى الرأى العام .

[البقية فى العدد القادم]